المجنون :

جاء في اللغة : أنّ الماجن هو « الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية . ولا يمضُهُ عذلُ عاذلهِ ولا تقريعُ من يقرّعه »(١٩٥) . إن الماجن يخلع ثوب الحياء ويفعل ما يشاء من الأعمال المنكرة التي لاتبيحها الأديان السماوية ولا تقبلُ بها المجتمعات الفاضلة .

---

(١٩٣) ديوانه ص ٦١٨ .

(١٩٤) عقلاء المجانين ص ١٣٥ ، حلية الأولياء ١٠ : ١٤٥ .

(١٩٥) لسان العرب ١٣ : ٤ .

لقد اتَّسم جانبٌ من المجتمع العباسي بالمجون والاستهتار بالقيم الخلقية النبيلة، وكان وراء انتشاره الزنادقة، والشعوبيون الحاقدون، والمتحللون من الدين والعرف والتقاليد. وساعد على شيوعه أيضاً كثرة الجواري المتهتكات اللواتي اشتهرن بأفعالهنّ الرديئة، وأخلاقهنّ السيئة »(١٩٦). وكذلك الغلمان الذين عُرفوا بالفساد وانحطاط الأخلاق. وقد عزا الدكتور طه حسين انتشار العبث والمجون إلى الفرس وحضارتهم(١٩٧). ورأى الدكتور محمد مصطفى هدارة ان الفرس مدوا تيار المجون بأسباب القوة، وان الحياة التي عاشوها قد أنتجتْ أنواعاً من الأدب المكشوف، تداولتها أيدي المترجمين العرب فكان لها تأثير خطيرٌ في إشاعة الإباحة والمجون في المجتمع الاسلامي.(١٩٨) أما الدكتور محمد نبيه حجّاب فيعزو الخلاعة والمجون إلى انتشار الحانات ومجالس الشراب التي تضم الفجّار والمجّان من الزنادقة المارقين وأكثرهم من فسقة الموالي الذين خلعوا حشمة الوقار.

ونحن لاننكر ما ذكره الباحثون في أمر المجون وانتشاره، ولكننا نرى السبب الأقوى هو الحرية المطلقة التي رآها الناس آنذاك، وخاصة الناقمين على مناديء السماء، والكارهين للشرائع التي أرادت أن يكون الانسان سامياً في أخلاقه وطبائعه وتصرفاته. ونؤيد ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف ان الدولة العباسية كانت مسؤولة عن انتشار موجة المجون؛ لأنها لم تقف بوجه الفساد ولم تتخذ للماجنين ديواناً لمحاسبتهم كما فعلت مع الزنادقة(٢٠٠).

جاهر الكثيرون بالمجون وارتكاب المحارم، ولا يمكن حصرهم وإحصاؤهم في هذا المكان، ومن يرجع إلى الدراسات والمصادر ولاسيما الأغاني يجد أسماءهم وتفصيلاً عن سيرهم، ويقف على أدبهم الذي يعكس صورةً صادقةً عن حياتهم الداعرة الفاسدة الشاذّة، ولعلّ من أكثرهم شهرةً في هذا المجال أبا دُلامة، وأبا نواس، ومطيع بن إياس والحسين بن الضحّاك، والحمّادين الثلاثة، ومسلم بن الوليد، ويحيى بن زياد، ووالبة بن الحُباب، وأبان اللاحقي، والفضل بن عبدالصمد الرقاشي،

---

(١٩٦) الموشى ص ١١٧، وينظر: الجواري والغزل في العصر العباسي الأول ص ١٠٤.

(١٩٧) حديث الأربعاء ٢: ٨٢.

(١٩٨) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٦٠٥.

(١٩٩) معالم الغزل وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٦٩.

(٢٠٠) العصر العباسي الأول ص ٢٨٣.

والخارَكي الذي أفسد جيلاً برمّته كما يقول أبو نواس : « ما مجنتُ ، ولا خلعتُ العذارَ ، حتى عاشرتُ الخاركي ، فجاهر بذلك ولم يحتشم ، فامتثلنا نحن على ما أتى به وسلكنا مسلكه ، ونحن ومن يذهب مذهبنا عيالٌ عليه »(٢٠١)

إنَّ العُصبة الماجنة اتخذتْ في أدبها أسلوب التصريح لاالتلميح ، يقول أحدهم وهو مطيع بن إياس :(٢٠٢)

اخـــلـــعْ عذارَكَ في الـــهوى ... واشربْ مـــعـــتَّـــقَةَ الدِّنانِ
وصِـلِ الـقـبـيـحَ مُـجاهراً ... فالـعـيـشُ في وصـلِ الـقِـيانِ
لايـلـهـيـنَّـكَ غـيرُ ما ... تَـهْوَى فإنَّ الـعـمـرَ فانِ

وكانت مجالس المجّان في غاية الخلاعة والتهتك والرذيلة ، وقد روى حمزة الأصبهاني شعراً لعشرة من اولئك الماجنين . كان يستضيف كل منهم الآخرين عنده ، ويُغريهم بلون أو أكثر من ألوان المجون ليقبلوا ضيافته(٢٠٣) . وكان الرقّاشي من دعاتهم البارزين . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « وكان مع تقدُّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً في مروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، متبذلة في أيدي الخاصة والعامة » .(٢٠٤) .

إنَّ المجانة والخلاعة والتهتك وركوب المعاصي حالة طبيعة لأناس تمرّدوا على دينهم واستخفوا بكلّ القيم والتقاليد ، وباعوا أنفسهم للشيطان كما قال والبة بن الحباب :(٢٠٥)

حـتـى إذا ما انـتـشـيـنـا ... وهزَّنا إبـلـيـسُ
رأيـتَ أعـجـبَ شـيءٍ ... مـنّا ونـحـنُ جـلوسُ
هذا يُـقـبِّـلُ هذا ... وذاك هذا يـبـوسُ

---

(٢٠١) طبقات الشعراء ص ٢٠٩ .
(٢٠٢) شعراء عباسيون ص ٣٦ .
(٢٠٣) ينظر ديوان أبي نواس بتحقيق ايفالد فاجنر ص ٤٣ . واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢١١ .
(٢٠٤) الأغاني ١٦ : ٣٤٦ .
(٢٠٥) طبقات الشعراء ص ٨٩ .

إن هذا اللون من الأدب في غاية الكثرة . ولكن لانبيح لأنفسنا الانشغال به ؛ لأنه بعيد عن التربية الصحيحة التي نتوخاها لأبنائنا السائرين نحو العلى والمجد . ويكفي ما ذكرناه في الصفحات السابقة للاستدلال على تلك الفئة الضالة التي كانت تعمل على هدم مثلنا وقيمنا السامية .